



8 فبراير 2020  
بقلم: د. عامر البوسلامة

من فضل الله تعالى على هذه الأمة، بعد اكتمال الدين، وختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بعد أن أدى الأمانة، ونشر الدعوة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، واستقر أمر هذا الدين على الأصلين النيرين والوحيين الراسخين؛ كتاب الله تعالى، وصحيح السنة النبوية؛ أن وعدنا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، حتى يستمر خير هذا الدين، وتبقى روعة هذه الدعوة، تستثمر فوائدها، وتجنّي قضاها المباركة، وتعم جماليات هذه التعاليم الإلهية، حيثما كانت، وأينما حلت، وإلى كل من وصلت إليه زماناً ومكاناً وإنساناً.

جاء في الحديث الصحيح، في سنن أبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ يُبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا".

من هنا نرى هذه الطبقات العالية من المجددين، وتبرز في كل قرن من القرون، وفي مساحات واسعة من الأرض، مجموعات من أفذاذ هذه الأمة، من الذين تعقد عليهم الأنامل، ويشار لهم بالبنان في رفعة منازلهم، وعلو كعوبهم؛ علماً ووعياً واجتهاداً وتقى وصلحاء، وتضحية وثباتاً، وقد نذروا أنفسهم وأوقفوها على خدمة هذا المنهج القويم، من العاملين لهذا الدين، الذين بارك الله فيهم، عبر العصور الإسلامية المختلفة، حيث يعملون على إحياء الأمة بأنوار الإسلام، لتحيها به الحياة الطيبة، ويكون لها شرف التصدر عند الناس، عزة وكرامة وشموخ وإيمان، ورفعة تقى، ومنارات صلاح، وشهادات حضارة، وقوة مجد، ومن يراجع كتب التراجم والأعلام، يقف على تاريخ هؤلاء الأخيار من المجددين الربانيين، الذين أضاءت جهودهم أنوار الخير، من تعاليم الكتاب والسنة، ولعل من يطالع كتاب "سير أعلام النبلاء" للإمام الذهبي، وكتاب "البدر الطالع" للإمام الشوكاني، أو كتاب "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" للمستشار عبداللّه العقيل، أو أي كتاب ترجم ترجمة منفصلة لبعض هؤلاء الأعلام؛ يجد صدق هذه الحقيقة، كل ذلك لتحقيق الحياة الطيبة، في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم يرحمه الله: "وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِأَهْلِ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: 97)، وَقَدْ فَسَّرَتِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ بِالْقِتَاعَةِ وَالرِّضَا، وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ وَعَبْرَ ذَلِكَ، وَالصَّوَابِ: أَنَّهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَتَعْيِمُهُ، وَبَهْجَتُهُ وَسُرُورُهُ بِالْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِتَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ أَطْيَبَ مِنْ حَيَاةِ صَاحِبِهَا، وَلَا تَعْيِمَ فَوْقَ تَعْيِمِهِ إِلَّا تَعْيِمَ الْحَيَّةِ.

كَمَا كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ: إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَيَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ، وَقَالَ عَيْرُهُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْفُصُ فِيهَا طَرَبًا، وَإِذَا كَانَتْ حَيَاةُ الْقَلْبِ حَيَاةً طَيِّبَةً بَعَثَتْ حَيَاةَ الْجَوَارِحِ، فَإِنَّهُ مَلِكُهَا، وَلِهَذَا جَعَلَ اللَّهُ الْمَعِيشَةَ الصَّنُكَّ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَهِيَ عَكْسُ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَكُونُ فِي الدُّورِ الثَّلَاثِ، أَعْنِي: دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ التَّرْتِخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ، وَالْمَعِيشَةُ الصَّنُكُّ أَيْضًا تَكُونُ فِي الدُّورِ الثَّلَاثِ، قَالِ الْأَبْرَارُ فِي التَّعْيِمِ هُنَا وَهُنَا لِكَ، وَالْفُجَّارُ فِي الْجَحِيمِ هُنَا وَهُنَا لِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) (النحل: 30)، وَقَالَ تَعَالَى: (وَأَن اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) (هود: 3)، فَيُذَكِّرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَحَبَّتَهُ وَطَاعَتَهُ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ ضَامِنٌ لِأَطْيَبِ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ وَالْعَقْلَةَ وَمَعْصِيَتَهُ كَفَيْلٌ بِالْحَيَاةِ الْمُتَعَصَّةِ، وَالْمَعِيشَةَ الصَّنُكَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. انتهى.

وهؤلاء المجتهدون المجددون، يشرحون للناس قضايا هذا الدين، ويبرزون دقائقه ورائعته، ينفون عنه ما علق به من بدع عقديّة وعباديّة وسياسيّة وحركيّة واجتماعيّة، ويقفون في وجه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتشدد المتشددين، وعلو الغالين، وتفسيرات المنحرفين، ودعاوى الزائغين، يشرحون تعاليم الإسلام، ويبينون أحكامه، وينزلونها على الواقع بفقّه دقيق، وتوازن منضبط، وشمول آسر، ويحثون الناس على الالتزام به، وتكون مناهج الحياة بكل شعبيها قائمة على ضوء هذا الالتزام، تارة بالخطبة، ومرة بالموعظة الحسنة، والمحاضرة الهادفة، وفي بعض الأحيان بالقلم والكتابة.

وتكون الأنشطة المرافقة سبباً من سبل العمل للإسلام، وحاضرة بقوة لم تغب عن ساحة العمل، للذكر والأنثى، والكبير والصغير، والحاكم والمحكوم، في إطار العمل الفردي، وكذا الجماعي، ولكل مفردة قوانينها وقرارات العمل فيها، وتتجدد الوسائل، وتتعاقد الأدوات المنتقاة بدقة، مع فقه بالعصر واحتياجاته، وتلمس للنوازل، تمسكاً بأهداب هذا الإسلام، بوسطية واعتدال، وفهوم بعيدة عن الشذوذ والتهيه، ومقررات منهجية رائدة، بعيدة عن الشروء

عن الفطرة التي فطر الناس عليها، بل تعتبر رصيد الفطرة، من مقومات نجاح هذه الدعوة، والعبودية لله اولا واخرا، الهدف العظيم، لكل هذا، على مبدا (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي) (الذاريات: 56).

### مجددو العصر الحديث

وفي عصرنا كان هذا التجديد، وكان الإمام حسن البناء، والعلامة أبو الحسن الندوي، والفقيه أمجد الزهاوي، ود. مصطفى السباعي، والعلامة السعدي، وغيرهم كثير في مشارق الأرض ومغاربها، وسطرت أدبيات في هذا الشأن، نفاخر بها، ونردد أفكارها، ونرسم معالم شعاراتها، وصدرت مجموعات من الكتب والرسائل، والخطط والبرامج، واندمجت الحركة الإسلامية في ميادين وشعب المناشط المختلفة، بناء على قانون الفهم السليم لشمول الإسلام، مع مواكبة للعصر، بآلياته واختراعاته، مثل الإذاعة والتلفزيون والتليفون، ووسائل الإعلام الأخرى، وما "السوشيال ميديا" إلا صورة من صور هذا العطاء المعرفي المعاصر، الذي استثمر في الخير، حتى يكون الناس على جادة الصواب نصره لهذا الدين، وعملاً بهديه القويم، وعبادة لرب العالمين.

وكانت "الصحة الإسلامية المباركة" منطلقاً من هذا المنهج الرائع، والحركيات الموفقة، وكانت الصحة شامة في جبين هذه الأمة، وحققت كثيراً من النتائج الطيبة، ومقاطع الفعل المبارك، وإنجازاتها تحتاج إلى أسفار حتى توثق هذه الحقيقة الواضحة للعيان، وهناك أفضاذا قاموا على قيادة هذا العمل ورعوه حق رعايته، وبنفس الوقت؛ فإن هذه الصحة قد وقعت في أخطاء في بعض تفاصيل هذه المسيرة الممثلة بالخيرات، وهذا أمر عادي، إذ لكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة، ولكل عالم زلة، كيف لا وهم بشر يصيبون ويخطئون، ويعتريهم ما يعتري البشر، من عوارض الخطأ والنسيان، حتى كان "فقه التقويم" من مفردات أدواتها، في تصحيح مسارها، وصار معتمداً في مؤسسات الحركة الإسلامية، ليكون التأشير على جوانب الخطأ ليتجاوز، وعلى تنوعات الإخفاق ليتم معالجة أسبابها، حتى لا تتكرر، والوقوف على جوانب النجاح لتنميته وتطويره، وبنفس الوقت لا بد من بحث جديد في آفاق المستقبل لتحقيق نسب نجاح مضافة إلى سابقتها، فيتراكم الخير، ويكثر وبارك بعون الله تعالى.

والأخطاء لها من يقدرها، من أهل العلم والفكر والاجتهاد، بنظر دقيق، وتوصيف حكيم، حتى لا يخلط الجابل بالنابل، والخير بالشر، والحق بالباطل، ومن ثم تقع في مربعات هدم الماضي، وتنقلب على الخير كله، ونكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، بل ربما وقعت هذه الشريحة بما هو أنكى؛ فهذه إشكالية كبيرة، ومصيبة عظيمة، تتعلق بدين المرء ودينه، ومن نواتجها أن تؤدي إلى نوع من التراجع والنكوص، والندم والحسرة، وهذا ما وقع فيه صنف (قليل وقليل جداً) من العاملين للإسلام، ممن أصابهم "كيّ الوعي"، وهنا مربط الفرس، ومعقد الفكرة.

نقلا عن مجلة "المجتمع"